

ديوان

الطليق

من شعر

صلاح الدين القوصي

(الجزء الثالث)

الطبعة الأولى

رمضان ١٤١٩هـ - يناير ١٩٩٩م

وقف لله تعالى لا يباع

الختم

﴿ التمه ﴾

ياواصلًا قلباً بجنبك يشتعلُ
يافاصلًا من عن جمالك قدغفلُ
أقسمتُ باللاهوت والناسوت
والسرّ الذي بهما اتصلُ
وبعزة الجبروت والسلطان
يا متكبراً منذ الأزلُ
وبرحمة الرحموت في الأكوان
لولاها لَمَا الخلق اعتدلُ

وبإِسْمِكَ الأَعْلَى الَّذِي
جَمَعَ الصِّفَاتِ وَمَا اشْتَمَلُ
وَبِسِرِّ نَوْرِ القُدُسِ مِنْكَ
وَمَا عَلَا أَوْ مَا نَزَلُ
وَجَلالِ وَجهِ عَزِيٍّ يَا مَوْلَايَ
عَنْ قَوْلٍ وَعَنْ وَصْفٍ وَجَلُ
وَصِفَاتِكَ العَظْمَى الَّتِي
كُلُّ الوجودِ لَهَا امْتِثَالُ
إِنِّي أَرَاكَ بِكُلِّ بَارِقَةٍ
كشمسٍ أَشْرَقَتْ وَالكونِ ظِلُ
فِي رَأْيِ قَلْبِي بِلِ فَوَادِي
قَدْرَ مَا العَقْلُ احْتَمَلُ
صَوْرًا أَرَاهَا كَالسَّرَابِ
إِذَا أَتَيْنَاهُ انْتَقَلُ

القلب يدركها .. ولكن
أى عقلٍ .. يحتمل !!

يا ظاهراً فينا كمعنى
حين تُبديه الجُمَلُ
قد يدرك المعنى الفؤادُ
وكل جِسْمِي ينفعلُ
لكنه معنى كَضَى الشمس
ليس له كيان مستقِلُ
أحيا بكم متنسماً
رُوحَ الوجود على مهلُ

تسرى بشريانى وقلبى

مثل أنفاس الثمِلِ

فلأنت أقرب لى وحقك

من وريد في العضل

روحي تحادثكم فأسمعها

تجاوز في وفاق أو جدل

صمت له معناه لكن

في كلام لم يُقل

متحدثاً والقلب يُصغى

حيث مال أو اعتدل

لكن عقلي مَسَّه

من بُعدكم بعض الخبل

قُرْبٌ وَّ بَعْدٌ كَالْخِيَالِ
كَأَنَّ فِي عَقْلِي خَالِلٌ
مَا يَهْنَأُ الْقَلْبَ الْمَحَبُّ
وَإِنْ بِفِرْدَوْسٍ نَزَلٌ
إِلَّا بِمَحْبُوبٍ تَعْطَفُ
وَالْحَبِيبَ لَهُ وَصَلٌ
وَالْبَعْدَ نَارَ وَالْحِجَابُ
عَذَابُهُ لَا يَحْتَمَلُ
هَذَا الْجَحِيمِ وَمَا الْجَحِيمِ
سِوَى قُلُوبٍ تَشْتَعَلُ
سَجَنَ بِهِ نَارٍ وَقِيدُ
حَوْلَ جِيدِ الْمُعْتَقَلِ
وَتَحِيظُهُ الْأَسْوَارُ بِالْجُدْرَانِ
تَعْلُو شَامِخَاتُ كَالْجِبَلِ

وبه سراديب الظلام
فيُعْرِقُ النفسَ الثِقْلُ
وبقيت كالمبهوت محبوساً
قعيداً كالصرع من الشلل
في كل آن لى لقاء
فيه من بشرى الأمل
بشرى إلينا أو علينا
من حبيب لي وخل
لكنه كالماء بين أصابعي
ما الحظ منه سوى البلل
يا رب مسَّ الضُّرُّ رُوحِي
من حجاب كالجبل
ليس النعيمُ سوى الوصال
بلا حجاب أو بدل

أما العذاب فحجب نُور

اللَّهِ عَنْ عَقْلِ عَقْلٍ

قال "البُخَرِيُّ": دَعْ هَوَى

لَكَ إِنْ عَلَا أَوْ إِنْ سَفَلُ

فَوَضُّ وَسَلِّمْ لِلْحَكِيمِ

وَلَا تَطَالِبْ أَوْ تَسَلُ

مَا دَمْتَ تَكْرَهُ أَوْ تَحِبُّ

فَلَسْتَ تَأْمَنُ مِنْ زَلَلُ

فَاصْبِرْ وَصَابِرْ وَانْتَظِرْ

مِنَ الْأَوَامِرِ وَامْتَثِلُ

و" الخضر " قال : اسكنُ

لِأَمْرِ اللَّهِ إِنْ يَوْمًا نَزَلُ

أَمْسِكْ لِسَانَكَ عَنْ شِكَاةٍ
فَابْنِ آدَمَ مِنْ عَجَلٍ
وَالصَّبْرُ خَيْرٌ فانتظر
مِنَ الْأَمْرِ وَامْتثلْ
مَاتَ الْجَمِيعُ وَجَاءَ دُورُكَ
فَاسْتَقِمْ حَقًّا وَقُلْ
إِنِّي لَهَا إِنْ شَاءَ رَبِّي
لَا يَضِيعُ مِنْ أَكْلٍ

أَمَّا " الْحَبِيبُ " عَلَيْهِ صَلَّى
اللَّهُ مِنْ قِدَمِ الْأَزَلِ
فَلَقَدْ شَرُفَتْ بِكَفْلِهِ
أَنْعَمَ بِأَعْظَمِ مِنْ كَفَلِ

قال "الحبيب": أصبر وصابر

إنما الأمر جَلُّ

ولسوف يأتي ما أردناه

متى شئناه في غيب الأجل

يجرى القضا بالأمر منا

كل شيء في سِجِلِّ

أبشر فأنت مؤيِّدٌ

منا بقول أو بفعل

فادع إلى الله وسبِّح

مَنْ سِوَاهُ خِيَالِ ظِلِّ

عَلَّمَهُمُ التَّعْظِيمَ وَالتَّقْدِيسَ

وَالْحَبَّ لِأَحْكَمِ مِنْ عَدْلِ

وَاخْلُصْ إِلَى الشَّيْطَانِ حَارِبُهُ

بَسِيفِي لَا تَخَفْ أَبَدًا فَشَلِّ

ودعِ الذى ابتدعوا
بلا إذنٍ ولا السند اتصلُ
ولكم من "الصدِّيقِ والفاروقِ"
والصحابِ الكرامِ من الأوَّلِ
سندٌ وتأييدٌ وورْدُ
فيه رىُّ المنتهِّلِ
صلى عليك الله يا مولاى
عَدَّ القطر ما غَيَّثَ هَطْلُ

وَأَتَى إِلَى "الْخِضْرُ" قَالَ:
انهض بُيَّ عَلَى عَجَلِ
وإليك أوراى بها سِرُّ
تَلَقَّهْ المِكاَثِرُ والمِقِلُ

من باب آل " محمد " °
عن فيض مولانا الأجل °
شرف إليك أتى فعُضَّ °
عليه من "زهراؤنا" لك مستقل °
يكفيك مولانا "الإمام" °
ومن تشرف واتصل °
ولك الأمان مع السكينة °
لا الترقب والوجل °
ولسوف تأتيكم جنود الله °
بالتأييد في عقد وحل °
فالعصر عصرك يا فتى °
والبدر أوشك أن يهل °
فاصبر وصابر واحتسب °
واسمع وراقب وامثل °

فلقد صنعتك مثل من
ربيتُ غيْرِكُ وارْتحلُ
والآن دورك يا أبَا
الفتيان فانهض واحتملُ
فأشِرْ وَقُلْ يَا رَبُّ بِاسْمِكَ
كل أمرٍ قد كَمَلُ
ولسوف نأتى في جنود
لا تراها بالمقلُ
لنتمم الأمر الذى
ترجوله أن يكتملُ

وحذار من عجبٍ فما
حقاً سوى الله فعَلُ

والأمر منه كما إليه
المنتهى جزءاً وُكُلُ
ما يبلغُ العبدُ الضعيفُ
إن بمولاه انشغل!!
واللَّهُ بالغُ أمره
هو حسبه فيما نزلُ
أبْنَى .. كلُّ الناسِ غَرْقى
في أكاذيب الأملُ
صُورٌ تراها كالخيالِ
وكلهمُ وهمٌ بطلُ
والعارفون المخلصون الحق
قتلى في الأزل!!
في حب مولاهم تراهمُ
في قتلٍ قد قُتِلُ

عشقا .. ولكن بعضهم
حتى عن الكون ذهل
لا البعد ينفعه ولا
قرب إن الود اتصل
ما بين شوق واشتياق
ضاع منهم من وصل
فافهم مرادى لا تكن
أعمى فترضى بالأقل

جَهزْ لَكُمْ كَفْنَا وَنَعِشَا
ثُمَّ كَبَّرْ وَاغْتَسِلْ
إِنْ مِتَّ سَوْفَ تَرَى ...
ويحي الحيُّ فيك بلا جدل

في كلِّ عصرٍ جَلَّ مولانا
له قومٌ رواسى كالجبَلِ
بهمُ تقومُ الأرضُ كما
لأوتادٍ ثمَّ لحيهمُ دوماً بَدَلُ
ما غرَّهمُ فعلٌ لهمُ أبداً
ولا رؤيا ووهمٌ مُفْتَعَلُ
جاءوا عباداً خالصين
بلا مطايا أو حُلَلِ
شُعْتًا وَغُبْرًا لا يَقْرُ
لهمُ قرارٌ في مَحَلِ

ناداهم المولى : أيتيمُ
مرحبا يا خير أهلِ

مرآة ذاتى في قلوبكم
وأفلق من تجرد أو صقل
بقلوبكم عرشى وكرسی
وكونى كله فيكم دخل
وبرحمة منا وفضل
لا بجهد أو عمل
وأنا الولی فممن ولیت
يفوز بالشرف الأجل
والسر منى واصل
فيكم فصونوا ما اتصل
أحرار خلقى من بحق
في العبودة قد دخل
طوبى لهم ربحوا
وفازوا بالنعيم المقتبل

قومٌ بئى لهم أنينٌ
في قلوب بالمحبة تشتعل
من قال: "بسم الله" منهم
كل ما مال اعتدل
هم خلص لله لا يرجون
إلا وجهه الأعلى الأجل
قد خلفوا الدنيا مع الأخرى
وقالوا: وجه مولانا الأمل

أقدامٌ صدقٍ كلهم
ورئيسهم منهم رطل
إن قال: "بسم الله" .. حيث
أراد ينتقل الجبل

هو وارثُ نورِ النبي
وَسِرُّهُ فِيهِ اتَّصَلُ
قطب الزمان وكنزُه
في كل عصر في مَثَلُ
في سِرِّهِ سِرٌّ يَدُورُ
وَكُلُّ وَقْتٍ فِي رَجُلٍ
يخفي عليهم إنما
نُؤَابُهُ دَوْمًا رُسُلُ
الغوث والأفراد يسقيهم
إذا علموا ومن منهم جهلُ
فالكُلُّ موصولٌ إليه
ولا يراه من اتَّصَلُ !!!
"ختمُ الولاية" فيه يسرى
في الأواخر والأوَّلُ

حتى يسلمها إلى "المهدى"

حيث أراد ربِّي في الأزل

سبحان من حكم الوجود

بغير جهد أو كلل

وهو البديع نظامه

ما فيه عيب أو خلل

جلَّ الإله الحق مولانا

وعزَّ عن المثال أو المثل

فانهض وكن كالسبع

لا تخش المصائد والحيل

فالله ناصر عبده

ما نام يوماً أو غفل

والعبد إن قصد الكريم
فما العطا أبدأ يقل
فالجود منه هو الجواد
ولا يقتر أو يمل

فاسكن وقُل: يا ذا الجلال
إليك ينعقد الأمل
لا حول لى إلاك إن
العبد تُعييه الحيل
فكن النصير ومن سواك
لعبده مهما يزل
متشفعاً بجمال نور "محمد"
في الكائنات ومن سواه لنا كفل!!

واجعله في قلبي وروحي
حين يغشاني الوجل
واجعله درعي في الخطوب
وكل أمرٍ قد نزل
صلى عليك الله يا نوراً
به البدر اكتمل

يا سرّ نور الله في الأك
وان .. يا مشكاة أنوار الأزل
صلى عليك الله يا مولاي
ما بدرٌ أهلّ أو اكتمل
أو لاح فجرٌ أو ضحى
أو لاح نجمٌ أو أفل

أواشرقَت شمس وإنْ
غابت إذا الليل إنسدَل

*



مكة المكرمة

١٣ ذوالحجة ١٤١٨ هـ - أبريل ١٩٩٨

